ذاكرة العرب

مجلة ربع سنوية - العدد الثاني - إبريل ٢٠١٩

الفهرس

تقديم	٣
سجلماسة... ١٣٠٠ عام على تأسيس أول حاضرة إسلامية بالمغرب الأقصى	٤
مدينة زبيد اليمنية وتحصيناتها	١٦
البيوت الدمشقية... كنوز معمارية فنية وأسرار تاريخية	٣٠
خان أسعد باشا العظم في مدينة دمشق	٥٠
زينة الرأس للمرأة التونسية... تراث ثقافي وحضاري	٦٤
سلامات من يافا وحيفا والناصرة والقدس الشريف	٨٨
السنع وأصوله... الأقوال الشعبية المتداولة في المناسبات الاجتماعية في دول الخليج العربي	٩٨
تاريخ غزة في نهاية العصر العثماني... قراءة من خلال شواهد القبور	١١٤
ملحمة السيرة الهلالية	١٢٨
إطلالة على البن اليمني	١٣٠
قراءة لوثيقة نادرة تقنن بيع الخيل في عهد الملك عبد العزيز	١٣٤
هرابات المياه النبطية في سيناء	١٤٢
ملف خاص: ما قبل التاريخ في الوطن العربي	
- آثار ما قبل التاريخ في العالم العربي والإرهاصات الأولى للحضارة	١٥٠
- الفن الصخري الموريتاني	١٦٢
- الملامح الثقافية لما قبل التاريخ في اليمن	١٧٤
- تاسيلي... تراث عربي مجهول	١٧٨

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

SPecial Projects
إدارة المشروعات الخاصة

المشرف العام
مُصْطَفى الفِقي
مدير مكتبة الإسكندرية

رئيس التحرير
خَالِد عَزَب
khaled.azab@bibalex.org

سكرتير التحرير
سُوزَان عَابِد
susan.abed@bibalex.org

المراجعة والتصحيح اللغوي
فاطِمَة نَبيه
مُحَمَّد حَسَن

التصميم الجرافيكي والخطوط
الحَسَن عِصَام
خَالِد مُصْطَفى

الإسكندرية، إبريل ٢٠١٩

طُبعت برعاية
OFID
THE OPEC FUND FOR INTERNATIONAL DEVELOPMENT
Uniting against Poverty

تقديم

حينما نقرأ التاريخ نستعيد أمجادًا وبطولات، آلامًا وأحزانًا، ذكريات نتعلم منها، نستنبط الدروس والعبر، ونستكشف المستقبل. لذا كان منهج مكتبة الإسكندرية حين أطلقت مشروع ذاكرة العرب هو الإتاحة للجميع، والبناء لا الهدم؛ إذ إنه في عصر تعثرنا يتعلق العرب بالأمل، فاعتبرنا أن موقعًا يجمع أرشيف ووثائق العرب هو ما يجمعنا لنبحث سويًّا في الماضي ونتطلع إلى المستقبل.

وفي هذا السياق يأتي العدد الثاني من مجلة ذاكرة العرب، الذي حرصنا على تنوع موضوعاته؛ لنغوص في عمق عصور ما قبل التاريخ. فنعرف القارئ العربي جانبًا كشفت عنه التنقيبات الأثرية المعاصرة في الوطن العربي – ونعده بنشر مزيد في الأعداد القادمة – فنجول في بلاد المغرب الإسلامي، التي تحتفي هذا العام بمدينة سجلماسة، وفي الخليج العربي عاداته وتقاليده؛ محتفين بالعرب تاريخًا وتراثًا، ومقدمين وجبة دسمة شائقة؛ خاصة أن العدد الأول سرعان ما انتشر، وتلقاه القراء بالترحاب. هكذا هي مكتبة الإسكندرية تقدم الجديد للحركة الثقافية العربية.

الدكتور مصطفى الفقي
مدير مكتبة الإسكندرية

سجلماسة

١٣٠٠ عام على تأسيس أول حاضرة إسلامية بالمغرب الأقصى

بقلم: الدكتور لحسن تاوشيخت

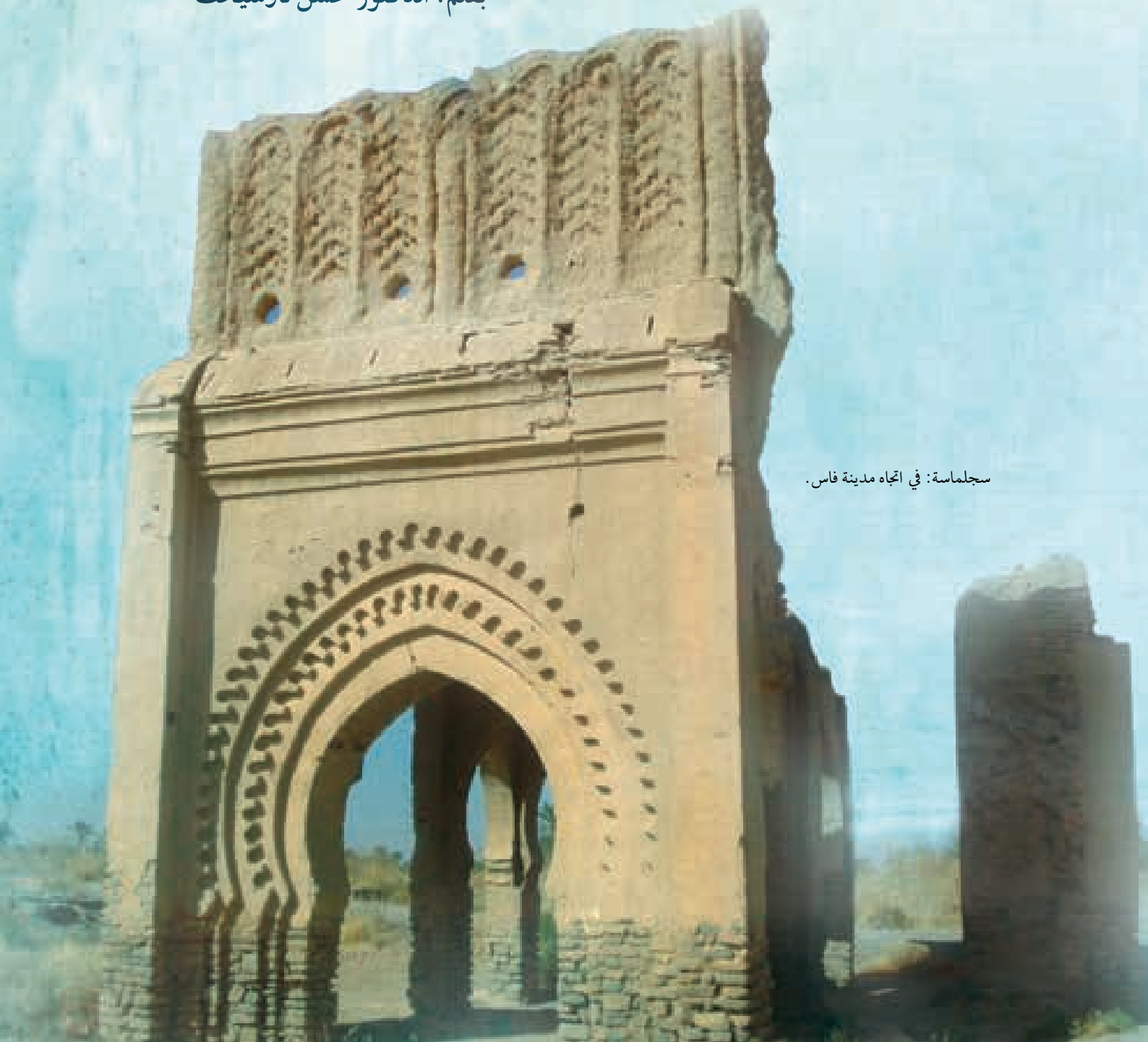

سجلماسة: في اتجاه مدينة فاس.

تعد مدينة سجلماسة ثاني مدينة إسلامية تشيَّد بالغرب الإسلامي بعد القيروان، وأول حاضرة بالمغرب الأقصى مثلت عاصمة إمارة بني مدرار الصفرية المستقلة عن الخلافة بالمشرق. فقد أجمعت بعض المصادر التاريخية أن سجلماسة بنيت سنة ١٤٠هـ/ ٧٥٧م، وقد أَهَّلها موقعها الاستراتيجي كصلة وصل أساسية بين مختلف مناطق شمال إفريقيا وبلاد السودان الغربي من جهة، والمشرق الإسلامي من جهة ثانية؛ لنشر الإسلام بهذه المنطقة، بل لأداء الدور الريادي في التواصل الحضاري؛ الشيء الذي جعل اسم سجلماسة يرتبط بالكتابات العربية، ومن ثم تؤثر وبشكل فعال في بلورة حضارة عربية إسلامية بإفريقيا جنوب الصحراء.

كذلك كان لهذا الدور المتميز الأثر الإيجابي في ازدهار سجلماسة في مختلف نواحي الحياة. فمن الناحية السياسية بسطت سجلماسة نفوذها على عدة مناطق من بينها درعة، وأغمات، وأحواز فاس، قبل أن تصبح إقليمًا متميزًا تابعًا للإمبراطورية المغربية؛ حيث ظلت مجالاً حيويًّا ونقطة انطلاق لكل الدول التي تعاقبت على حكم المغرب. وفي المجال الاقتصادي انتعشت الفلاحة بفضل نظام متطور للري، وتطورت الصنائع، وأصبحت المدينة البوابة الرئيسية للسيطرة ليس فقط على التجارة العالمية، بل على الحكم المركزي. وبالنسبة إلى الميدان الاجتماعي فقد أضحت سجلماسة مركز استقطاب حيويًّا أسهم في تحول معيشة السكان من الاستغلال الرعوي والزراعي المتنقل إلى حياة أكثر استقرارًا، تعتمد فضلًا عن الفلاحة على التبادل التجاري والحرف؛ مما جعلها تحتضن أجناسًا متنوعة ومختلطة. وأما على الصعيد الحضاري، فعرفت المدينة تطورًا عمرانيًّا كبيرًا كما عُدت منبرًا ثقافيًّا حرًّا لتبادل الرأي بين العلماء والمفكرين.

والكتابات العربية، بالرغم من ضآلتها وتجزيئها، تقدم أوصافًا مهمة عن موقع سجلماسة؛ فالمؤرخون العرب الأوائل، بالرغم من أن من زارها منهم فعليًّا قليل، عدوها مدينة كبيرة، ومنطلقًا لتجارة الذهب، ونموذجًا للمدن الأخرى. وهكذا نجد أول إشارة لسجلماسة بعد قرن من تشييدها عند الخوارزمي المتوفى سنة ٢٢٩هـ/ ٨٤٦م، حينما ذكر أنها مدينة محورية على شكل نقطة التقاء مواقع العالم، في حين جاءت في بقية الكتابات (نحو ١٣ مصدرًا) كحاضرة غنية وجذابة. وتطرح هذه المصادر المكتوبة عدة إشكاليات، أهمها: أن أغلب هذه الكتابات يكرر المعلومات نفسها، وأن ثلاثة فقط من مؤلفيها هم الذين زاروا المدينة بالفعل، وهم: ابن حوقل (نحو سنة ٣٨٠هـ/ ٩٦٧م)، وابن بطوطة (سنة ٧٥٢هـ/ ١٣٥٢م)، والحسن الوزان (نحو سنة ٩١٨هـ/ ١٥١٦م).

كانت سجلماسة بمنزلة واسطة العقد في تجارة القوافل بالغرب الإسلامي. «وفي القرنين الثالث والرابع الهجريين (التاسع والعاشر الميلاديين) اتجه العالم الإسلامي نحو الطرق البرية، وصارت الطرق البحرية مكملة لها فقط. وبرزت في النهاية من هذه المرحلة طرق الذهب والرقيق الأسود بين حوض المتوسط الإسلامي بالصراع على هذه الطرق، وتحولت المراكز الشمالية من الصحراء الكبرى إلى مكان للتنافس بين القوات المتصارعة عليها؛ فصارت غدامس، وركلة، وتاهرت، وسجلماسة، ونول لمطة، وأودغشت، مسرحًا للتنافس الساخن بين جميع القوات المغربية». فأمويو الأندلس كانوا يقبلون على منتجات المغرب خاصة ذهب الصحراء عن طريق سبتة، وفاس، وسجلماسة، حتى إن الدنانير الذهبية الأندلسية كانت تضرب باسم الأمويين في مدن مغربية، مثل نكور، وفاس، وسجلماسة. ولأن سك النقود يدخل في مهام الدولة، وأن رواج هذه النقود في التجارة العالمية دليل على الدور المباشر الذي تؤديه الدولة في هذه التجارة بعيدة المدى، فإن مراقبة الطرق العابرة لسجلماسة تظل ضرورة ملحة للتحكم في المدينة. كذلك كان الفاطميون يحصلون على نحو نصف مداخلهم الجبائية أي ما يفوق ٤٠٠ ألف دينار من سجلماسة.

وفي مشروعها الوحدوي للسيطرة على الغرب الإسلامي، حاولت الدعوة المرابطية منذ البداية التحكم في أهم المراكز التجارية؛ حتى تتمكن من ضمان قوة مادية ثابتة، تستطيع بواسطتها تحمل نفقات تحركاتها العسكرية. وكانت سجلماسة من بين المراكز الأولى التي طبقت بها هذه الخطة الاستراتيجية. وقد عرفت المدينة مع السيطرة المرابطية نموًّا كبيرًا ارتبط أساسًا بتجارة القوافل، التي كان المرابطون يتحكمون في مختلف محطاتها وطرقها؛ مما نتج عنه استتباب الأمن وتنشيط الحركة. وتبوأت سجلماسة مكانة العاصمة الإقليمية ذات الدور الحاسم في بناء دولة مرابطية مترامية الأطراف، بل شكلت جزءًا مهمًّا من شبكة الاقتصاد المالي للدولة، خصوصًا بعد سيطرتها المباشرة على أهم مراكز جنوب الصحراء، مثل تمبوكتو، وأودغشت. ومنذ استيلائهم على سجلماسة سنة ٤٥٠هـ/ ١٠٥٤م ولمدة ٣٠ سنة، والمرابطون يضربون نقودهم بسجلماسة فقط وتحت اسم أبي بكر وحده؛ ثم أخذت بعد وفاته تسك بمراكش، وأغمات، وفاس، وتلمسان، والأندلس، وبالتأكيد بسجلماسة. و«بوقوعها على مفترق المحاور التجارية للإمبراطورية المرابطية، أصبحت سجلماسة مدينة كبيرة، عامرة ومزدهرة؛ إذ كانت تصدر القطن، والكمون، والقرنفل، والحناء إلى بلاد السودان، وإلى كل جهات الغرب الإسلامي».

ولدورها الاقتصادي وبفضل مواردها المادية الضرورية للخزينة المركزية، وضع الموحدون سجلماسة كهدف أول في مخططهم السياسي ما بين سنة ١١٣٩م وسنة ١١٤٥م، وقبل أن يتمكنوا من السيطرة على العاصمة المرابطية نفسها، لذلك اتبعوا السياسة المرابطية نفسها في احتلالهم لسجلماسة باعتبارها مفتاح التحكم في طرق التجارة الصحراوية، إلا أنه «مع السيطرة الموحدية أصبح التوازن التجاري المحقق بالغرب الإسلامي يعرف ظروفًا غير مساعدة لوضعية سجلماسة». ذلك أن هذه الأخيرة فقدت ثقلها التجاري لفائدة مدن المغرب الأوسط، وخاصة تلمسان، وبجاية التي حظيت بالأولوية من طرف عبد المؤمن بن علي وخلفائه من بعده، فضلًا عن انشغال الموحدين في إخماد الثورات وخاصة بالأندلس؛ مما جعل سجلماسة تقع فريسة أطماع حكامها، أو بعض الثوار الذين يريدون الانفراد بمواردها.

وفي عهد المرينيين (١٢٥٥-١٣٩٣م) ظلت سجلماسة من كبريات مدن المغرب، ولكنها لم تعد تؤدي ذلك الدور التجاري الهام، بل إن هذا الدور تقلص بشكل كبير نتيجة عدة عوامل؛ من أهمها بداية تحول الطرق التجارية نحو المحيط الأطلسي، وسيطرة قبائل بني معقل على أهم المحاور والمراكز القوافلية، وكذلك إعطاء الأسبقية من طرف الدولة المرينية للطريق الغربي درعة – نول لمطة، فضلًا عن انشغال حكام بني مرين بمواجهة الصراعات الداخلية والمشاكل السياسية والعسكرية الناتجة عن الزحف المسيحي نحو الأندلس. وكان لهذه العوامل وغيرها مثل الضرائب الثقيلة المتنوعة والنزاعات القبلية، أن تعرضت مدينة سجلماسة للتدهور والاندثار نحو سنة ١٣٩٣م.

مجمل القول إن مدينة سجلماسة التي ارتبطت شهرتها وكذا أهميتها بتجارة القوافل، كانت نتيجتها المأساوية مع فقدان تحكمها في هذه التجارة. وهكذا كما بدأت إشراقة أنوارها التاريخية ومكانتها السياسية والاقتصادية مع طرق القوافل نحو سنة ١٤٠هـ/ ٧٥٧م، انطفأت مصابيحها ودورها الريادي مع ظهور أهمية الملاحة البحرية في أواخر القرن ٨هـ/ ١٤م. فكانت خاتمتها المؤلمة أن غابت نهائيًّا ليس فقط من مسرح الحياة، بل في الكتابات التاريخية أيضًا.

الموقع الجغرافي لمدينة سجلماسة.

المقاربة التاريخية

تمتد هذه الكتابات العربية المؤرخة لحاضرة سجلماسة زمنيًّا ابتداءً من الخوارزمي في النصف الأول من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي إلى ابن خلدون في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي. هذا في الوقت الذي يأتي فيه الحسن الوزان بعد مائة عام من اندثار سجلماسة في بداية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي؛ حيث يقدم معلومات ضافية عن المدينة اعتمادًا على معاينته لما تبقى بعد خرابها، واعتمادًا على الرواية الشفوية. ويعد البكري في كتاب المسالك والممالك الذي ألفه نحو سنة ٤٥٣هـ/ ١٠٦٨م، الوحيد الذي قدم تفاصيل أكثر عن سجلماسة، رغم أنه لم يغادر قط بلده الأصلي بالأندلس، واكتفى بجمع معلوماته نقلًا عن ابن حوقل أو رواية عن التجار الذين زاروا المدينة. وبعد البكري بنحو ٣٠٠ سنة نجد ابن فضل الله العمري في كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار الذي كتبه نحو سنة ٧٣٧هـ/ ١٣٣٧م، يقدم وصفًا دقيقًا للمدينة؛ وذلك اعتمادًا على مؤلفي البكري وابن حوقل. وهكذا تجدر الإشارة إلى أن الجغرافيين القدامى اعتمدوا على أهم المصادر المتوافرة؛ مما جعل معلوماتهم متشابهة ولا تتغير إلا نادرًا.

ويصف ابن حوقل خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، مرافق سجلماسة بالجمال وبالسمو، فيقول: «وأبنيتها كأبنية الكوفة إلى أبواب رفيعة على قصورها مشيدة عالية». أما ابن الخطيب، فيشير من جهته: «والرفاهية بها فاشية والنشء في الحلية ناشئة». ويذكر الإدريسي في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي: «وأما مدينة سجلماسة، فمدينة كبيرة وكثيرة العامر، وهي مقصد الوارد والصادر، كثيرة الخضر والجنات، رائقة البقاع والجهات، ولا حصن عليها؛ وإنما هي قصور وديار وعمارات متصلة على نهر كثير الماء». ويقدم العمري صورة كبيرة عن سجلماسة بقوله: «فهي مدينة ضخمة في جنوب مدن المغرب الأخرى بجوار الصحراء الكبرى، وهي من أكبر المدن بالمغرب والأكثر ازدهارًا في العالم. يخترقها نهر كبير وتتوفر على قصور متينة ومبانٍ عالية وأبواب مرتفعة. الهواء بها طاهر نظرًا لقربها من الصحراء». ويورد المقدسي وصفًا أكثر دقة، فيقول عن سجلماسة: «قصبة جليلة على نهر بمعزل عنها يفرغ في قبليها، وهي طولانية نحو القبلة عليها سور من طين، وسطها حصن يسمى العسكر، فيه الجامع ودار الإمارة، شديدة الحر والبرد، صحيحة الهواء، كثيرة الأعناب والزبيب والفواكه والحبوب والرمان والخيرات، كثيرة الغرباء، موافقة لهم، يقصدونها

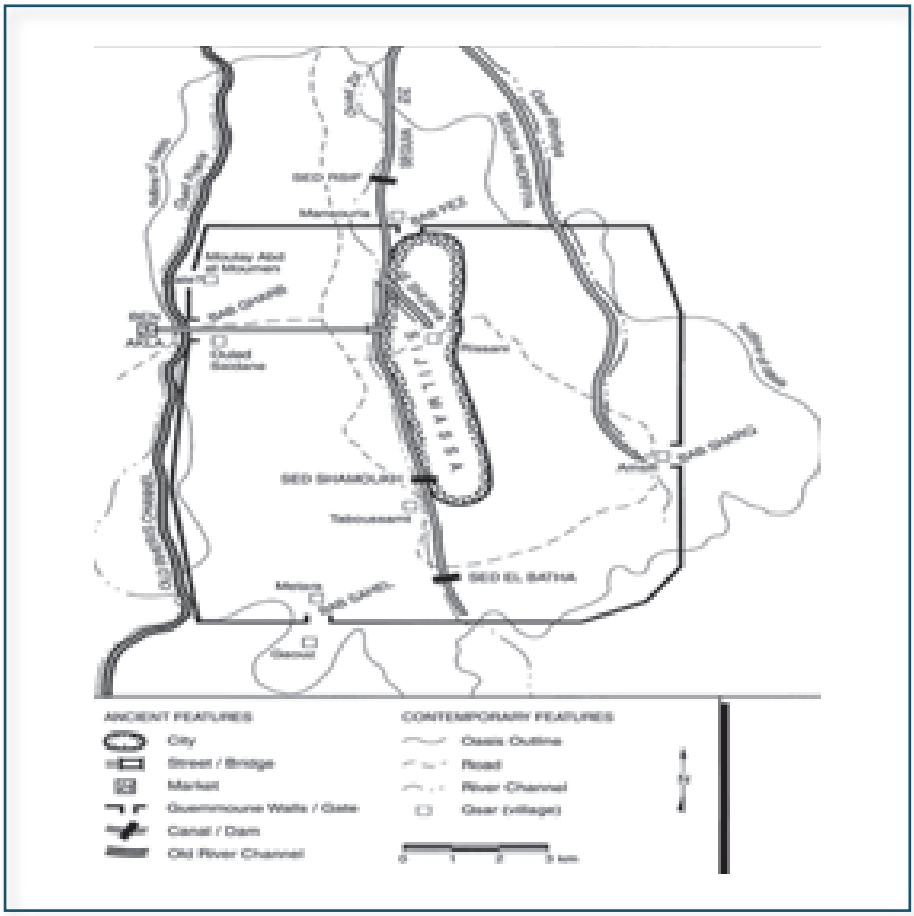

التخطيط العمراني لمدينة سجلماسة.

من كل بلد، وهي ثغر فاضل برستاقها معادن الذهب والفضة». أما صاحب كتاب الاستبصار – القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي – فيكرر معلومات البكري نفسها في وصف المدينة فيقول: «مدينة سجلماسة مدينة عظيمة من أعظم مدن المغرب، وهي على طرف الصحراء، لا يعرف في قبليها ولا غربيها عمران، بينها وبين غانة صحراء. ولمدينة سجلماسة ١٢ بابًا، ولها بساتين، وهي كثيرة النخل والأعناب وجميع الفواكه. وهي على نهرين من عنصر واحد في موضع يسمى أكلف، وتمده عيون كثيرة، ولهم مزارع كثيرة يسقونها من النهر في حياض كحياض البساتين».

ويصف ابن بطوطة المدينة عندما زارها سنة ٧٥٢هـ/ ١٣٥٢م، واستقر عند الفقيه أبي محمد البشري: «وهي من أحسن المدن، وبها التمر الكثير الطيب، وتشبهها مدينة البصرة في كثرة التمر، لكن تمر سجلماسة أطيب، وصنف إبرار منه لا نظير له في البلاد». وفي مكان آخر يقارن ابن بطوطة بين شكل السكن بالصين وبسجلماسة من خلال وجود الدار في وسط حديقة؛ فيشير في وصفه لمدينة كوانزو بمضيق تايوان بالصين: «وهذه المدينة وجميع بلاد الصين يكون للإنسان بها البستان والأرض، وداره في وسطها كمثل ما هي بلدة سجلماسة ببلادنا». كذلك يشير الحسن الوزان الذي زار المدينة بعد تخريبها بداية القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي أن سجلماسة «شيدت فوق هضبة على نهر زيز، وكان يحيط بها سور عالٍ ما زالت بعض أجزائه ظاهرة، وكانت لها نافورات كثيرة يأتي ماؤها من النهر. وكان بها ناعورات كبيرة تحمل هذا الماء من زيز، وتطلقه في قنوات تحمله إلى المدينة». وإذا رجعنا إلى دائرة المعارف الإسلامية، فتصف المدينة بـ«كانت البلدة عامرة بأهلها متسعة الأطراف، تتألف من حصون منيعة، وعمائر وبيوت، بني كل منها في وسط حديقة. وسجلماسة اليوم خرائب وأطلال. ويطلق عليها أهل البلاد على سبيل التلطيف المدينة العامرة، وهي تمتد على طول الشاطئ الشرقي لوادي زيز نحوًا من خمسة أميال، ولم يبقَ منها إلا منارة ما زالت قائمة على قنطرة عبر وادي زيز، وكتل ضخمة من الأسوار المشيدة من الصلصال في كل مكان».

المقاربة الأثرية

شكّل موقع سجلماسة محطة لعدة بعثات علمية مغربية وأجنبية منذ عام ١٩٧١م مع البعثة الإيطالية إلى اليوم مع البعثة الفرنسية، ومرورًا بالبعثة المغربية عام ١٩٧٤م، والبعثة الأمريكية ما بين عامي ١٩٨٨م و١٩٩٨م، وتحريات مركز الدراسات والبحوث العلوية عامي ١٩٩٠م و١٩٩١م. كشفت هذه الأبحاث عن معطيات معمارية مهمة لم ترد في المؤلفات المكتوبة بتفصيل،

ومن أهمها:

- المسجد الجامع حيث تتبعت الحفريات التطورات التي عرفها منذ فترة المرابطين إلى العصر العلوي الأول (من القرن العاشر إلى القرن الثامن عشر الميلادي).
- السور الخارجي الذي عُرفت مواد بنائه، وامتداده، ومختلف مكوناته.
- نمط السكن السجلماسي الذي ضبط تصميمه، ومواد بنائه، والمرافق المكونة له.
- منشآت الصناعة الخزفية حيث رصدت أماكن تمركزها، والأدوات المستعملة في صنعها، ونوعية منتجاتها.
- بعض التجهيزات المائية التي عرفت أصنافها كالسدود، والقنوات، والأحواض، والخطارات وغيرها.
- إنجاز تصميم طبوغرافي أثري لموقع سجلماسة في جزئه الأوسط. كذلك أُجري رفع هندسي للطبقات الأثرية وخاصة الواقعة منها بالجهة الشرقية. أكدت هذه الرفوعات أن الموقع تعرض لعدة تغييرات ارتبط بعضها بالاضطرابات السياسية والاجتماعية التي شهدتها المدينة. تبين من خلال هذه البحوث الميدانية أن الموقع شهد مرحلتين من الاستقرار: الأولى تمتد من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي إلى القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، حيث استغل الموقع لإقامة مصانع الخزف. أما المرحلة الثانية، فتمتد من أواخر القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي إلى بداية القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، وشهدت بناء القصبة السجلماسية من طرف السلطان مولاي إسماعيل (القرن السابع عشر الميلادي)، والتي رممها وأعاد بناءها السلطان سيدي محمد بن عبد الله في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، قبل أن تخرب نهائيًّا في القرن التاسع عشر الميلادي.

تعترض الباحث عن آثار سجلماسة إشكالية التحديد الحقيقي للموقع؛ ذلك أن الكثير من المعطيات الأثرية تستخلص أساسًا من اللقى الخزفية، كما أن الحفريات المنجزة بسجلماسة حتى

البحث الأثري لمدينة سجلماسة.

أطلال مدينة سجلماسة.

الآن لا تزال قليلة. وبالرغم من المعوّقات الاستراتيغرافية، فالمقاربة بين المعطيات الطبوغرافية والصور الجوية والمسح الأثري من جهة، والرواية الشفوية والكتابات التاريخية من جهة ثانية، مكنت من الحصول على صورة تقريبية لمجال سجلماسة، وخاصة مركزها الحضري خلال السنوات الأخيرة من ازدهارها. وتبقى المعرفة الدقيقة بمجال سجلماسة العمراني، بالرغم من تضافر جهود الباحثين، محدودة جدًّا. فالمصادر الأدبية لا تقدم إلا أوصافًا عامة تفتقر إلى التفاصيل؛ لأنها اهتمت بالوقائع السياسية للمدينة وبمؤهلاتها الاقتصادية، وأغفلت تنظيمها الحضري. أما الرواية الشفوية، فيكتنفها الكثير من الغموض والتناقض، ولم تستطع تقديم كل المعلومات الكافية، هذا فضلًا عن انعدام كل الوثائق ذات الصلة بأحوال المدينة.

نحو إنقاذ وتأهيل موقع سجلماسة

تعرضت سجلماسة عبر مختلف الفترات التاريخية التي مرت منها لعدة مراحل من البناء والهدم، بل استغلت أطلالها بعد تخريبها لإقامة منشآت إنتاجية وخاصة الخزفية، ولبناء القصور والقصبات، بل شيدت مدينة الريصاني الحالية فوق أجزاء مهمة من الموقع، وتوجد عدة مقابر، والكثير من الأضرحة بالموقع. وفي السنوات الأخيرة استغل الموقع ببشاعة، ودون الأخذ بعين الاعتبار أهميته التاريخية، من أجل إنجاز عدة مرافق، كما يتعرض الموقع لعدة خروقات وانتهاكات بيئية؛ إذ يستغل لرمي كل النفايات والأتربة المترتبة على أشغال الهدم والبناء. أمام هذا الوضع وبعد أن تم منذ سنة فقط ترتيب الموقع السجلماسي ضمن التراث الوطني، أصبح من الضروري رد الاعتبار لهذا الموقع وتثمينه من خلال اتخاذ عدة إجراءات. فعلى المدى القريب، تقتضي عملية المحافظة على موقع سجلماسة القيام بالأعمال والأنشطة التالية:

- تسييج الموقع (يمتد الموقع في شموليته على طول قرابة ٨ كم، وعلى عرض يصل إلى ١,٥ كم) وبخاصة في نطاقه الأوسط الذي لا يزال يحتفظ ببقايا القصبة السجلماسية، والممتد على نحو ٥٠٠م طولًا و٥٠٠م عرضًا، والذي يمكن تحديده غربًا بوادي زيز، وشرقًا بمدينة الريصاني (واد الشرفاء وساقية الرحوي)، وشمالًا بسد وانكَاكَا وواد الشرفاء، وجنوبًا بالطريق الرئيسية رقم ١٣؛ هذا بالإضافة إلى الباب الشمالي والمنطقة المحاذية له، وبعض أجزاء السور الغربي، الواقعة في الجزء الجنوبي وفي الجنوب الغربي، بجانب ضريح المولى الحسن بن محمد ابن الحسن الشريف (الحسن القواس)؛ لوضع حد لاستغلال الموقع في أعمال لا تمت بصلة لوظائفه المحددة قانونيًّا.
- الإشارة إلى أهمية الموقع السجلماسي بواسطة استعمال كل وسائل الدعاية على المستوى المحلي والوطني والعالمي (ندوات/ مهرجانات/ منشورات/ مطويات/ أفلام وثائقية...)؛ وذلك لجلب الاستثمارات الوطنية والدولية.
- الإسراع بترتيب الموقع ضمن التراث العالمي بعد أن تم تصنيفه في لائحة الآثار الوطنية بقرار وزاري رقم ٢,١٧,٦٩١ بتاريخ ٢٣ نوفمبر ٢٠١٧، والصادر بالجريدة الرسمية، عدد ٦٦٢٨، بتاريخ ٧ ديسمبر ٢٠١٧.
- إعادة الاعتبار لمركز الدراسات والبحوث العلوية، لكي يقوم بمهامه على الوجه الأكمل كما هي مسطرة في مرسومه التنظيمي؛ ومن ذلك توثيق تاريخ الدولة العلوية، وتعميق البحث عن تراث منطقة تافيلالت؛ وذلك بإعادة تأهيله.

أما على المدى المتوسط، فتتجلى أهمية إنشاء محافظة خاصة بالموقع على غرار باقي المواقع المغربية كشالة وولیلي؛ من أجل المراقبة والتتبع والقيام بأشغال:

- ترميم البقايا المعمارية الظاهرة قبل أن تصبح منتهية، ومن ذلك الباب الشمالي، والقصبة الإسماعيلية، وخاصة سور القصبة الممتد في الشمال، وفي الغرب، وفي الجنوب، والمسجد الجامع، والمرافق التابعة له، وبقايا الحصن.
- وضع علامات التشوير وبطائق تعريف المعالم المتبقية، والحفريات المنجزة.
- تنظيم ممرات الزيارة للبقايا الأثرية والمعمارية، وغلق كل المسالك التي تعبر الموقع في كل الاتجاهات، ومن ثم المحافظة على حرمة مكونات الموقع المتسمة بالحساسية والهشاشة.

وعلى المدى البعيد، تكمن أهمية تأهيل الموقع من خلال تنظيم مسارات للسياحة الثقافية، ومن أهمها:

- مسار المواقع الأثرية: ينطلق من موقع سجلماسة ليشمل أهم المواقع الموجودة بالضواحي، والتي يعود معظمها إلى فترة ما قبيل التاريخ.
- مسار القصور والقصبات: يتضمن هذا المسار القصور والقصبات التاريخية الهامة بالمنطقة.
- مسار الزهد والتصوف: يهم الزوايا والأضرحة الكثيرة التي تزخر بها المنطقة.
- مسار الخزائن العلمية: يُحتفظ بمجموعة مهمة من المخطوطات والمطبوعات الحجرية فضلًا عن المطبوعات السلكية والكتب الحديثة.

- مسار المنتجات الحرفية: حيث تنتظم هذه الحرف وفق نوعيتها وطبيعتها، مع زيارة معاملها التقليدية المتبقية.
- مسار المنتزه الطبيعي: تتميز المنطقة بمناظر طبيعية خلابة متنوعة، تضم تضاريس شبهها علماء الجيولوجيا والفلك بتلك الموجودة على سطح كوكب المريخ، فضلًا عن واحة أشجار النخيل، والأودية، والسواقي، والتلال، والكثبان الرملية، والبحيرات الموسمية، والمنابع المائية، والمقالع الحجرية، والمناجم المعدنية.
- مسار الذاكرة التاريخية: يشمل موقع النقوش الصخرية، ومواقع المعارك البطولية التي خاضها سكان المنطقة ضد قوات الاحتلال الفرنسية، والأماكن ذات الرمزية الجماعية.

ظهرت مدينة سجلماسة بجلاء على مسرح الأحداث التاريخية مع بزوغ الحضارة الإسلامية، وحظيت باهتمام واسع من لدن عدد من الكُتاب القدامى، وجذبت منطقتها أعين المستكشفين الأوروبيين منذ القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، وكانت موضوع دراسات جامعية داخل المغرب وخارجه، وخضع موقعها لأبحاث أثرية من طرف بعثات علمية مغربية وأجنبية. وتعد مدينة سجلماسة من أهم المدن المغربية المسماة «الوسيطية»، باعتبار الدور التاريخي الكبير الذي أدته هذه المدينة في بناء صرح الدولة المغربية.

والكتابات العربية للمؤرخين والجغرافيين القدامى تقدم أوصافًا عامة عن مدينة سجلماسة، وعن البضائع المصدرة منها أو المستوردة، وفي بعض الأحيان تتحدث عن الشخصيات المهمة التي ارتبط بها تاريخ المدينة. وهذه الكتابات تفتقر إلى التفاصيل والكمية.

ومن جهة أخرى، يظهر أن الحفريات الأركيولوجية بموقع سجلماسة لم تستطع تقديم كل المعلومات الكافية، ومن ثم ظلت معظم المعطيات المادية والأسرار الأثرية حبيسة الأنقاض. ومهما يكن الأمر، فإن تحليل ودراسة ما توافر من معطيات وكذا اعتماد الرواية الشفوية، مكننا إلى حد ما من تدقيق التاريخ السجلماسي العام، ومن فهم الخصوصيات العمرانية للمدينة.

ويتيح موقع سجلماسة – باعتبار ثقله الحضاري، وعمقه التاريخي، وأسراره الأثرية – إمكانية فتح ورش متعددة ذات جدوى اقتصادية كبيرة، وذات انعكاسات اجتماعية وبيئية ضخمة، كما سيشجع على تكثيف الأبحاث متعددة التخصصات (التاريخية، والأثرية، والإثنوغرافية، والأنثربولوجية).

دنانير ذهبية، ضرب مدينة سجلماسة.

وقف

بسم الله الرحمن الرحيم وقف وحبس وسبل وابد العبد الفقير الى الله تعالى
حصن المسلمين ملجأ القاصدين ابو سعد سيف الدين ركن بن عبد الله الشافعي الملكي الناصري بعده الله تعالى الفضل العظيم
جميع هذه الربعة الشريفة وعدتها ثلثون جزءا على كافة المسلمين ينتفعون بذلك في القراءة والنقل
والمطالعة والدراسة وشرط الواقف للذكور ان هذه الربعة المذكورة لا تخرج من الذرية المذكورة ولا تعار ولا تخرج الا
للاصلاح وجعل النظر في ذلك لنفسه طول حياته ثم من بعده للذرية الارشد فالارشد وذريته ذرية فاذا انقرض
الذرية ولم يبق منهم احد يكون النظر للشيخ المقيم بالتربة المذكورة يجري الحال في ذلك كذلك ما ابقى الله الارض
ومن عليها وهو خير الوارثين فمن بدل ما شرطه فانما اثمه على الذين يبدلونه
ان الله سميع عليم وقع اجر هذا الواقف على الله عز وجل الذي لا يضيع اجر من احسن عملا وذلك سابع
من شهر جمادى الاخرة سنة ست وستين وسبعمائة